

قراءة في سلسلة : أسفار العربية

بقلم : عائشة عثمان

تطور التأليف اللغوي عند العرب في القرون ما بين الرابع الى السابع .

ويعد الكتاب الاول - العشرات في غريب اللغة الاول في مجاله ، وانما تأثر به الفزاز القيرواني وابن بزين الدقيقي في كتابيهما وعارضاه او نقلاه عنه . وندناول في ما يلي كل كتاب على حدة ، بشيء من الاجاز ، وبما يلقي عليه ضوءا كافيا .

اولا عشرات الزاهد

يعد هذا الكتاب في كتب الغريب التي قصرها مؤلفوها على الالفاظ الشاردة فقيحوما وصنّفوها في كتبهم ، ولما كان عمل كهذا لا يروق القارى ، ويحتاج الى منهاج محكم سلس يجمع بينها ، فقد عمد صاحبنا الى اسلوب لطيف في تبويب الفاظه ، ويتمثل ذلك في انه جعلها في مجموعات ، تتكون كل مجموعة من عشرة الفاظ ، وهذا هو السر في تسمية الكتاب بهذا الاسم .

وتتفق هذه الالفاظ العشر في صفتين على الاقل وذلك كان تتفق في الميزان الصرفي وشيء آخر او اشياء ومن ذلك الحرف او المقطع الاخير .

نتناول في هذه الدراسة مجموعة من الكتب صدرت اخيرا في عمان ضمن سلسلة اسفار العربية بتحقيق الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر وهذه الكتب هي :

اولا : العشرات في غريب اللغة لابي عمرو الزاهد المتوفى سنة 345 هجرية .

ثانيا : كتاب العشرات في اللغة لابي عبد الله محمد ابن جعفر التميمي المعروف بالفزاز القيرواني ، المتوفى سنة 412 هـ .

ثالثا : كتاب اتفاق المباني واقتراق المعاني لسليمان بن بنين الدقيقي النحوي المتوفى سنة 614 هـ .

مدار هذه السلسلة

تدور الكتب الثلاثة حول اللغة ، فتتناول الالفاظ من حيث ترادفها او اشتراكها في صفة من الصفات ، الى جانب اشتراكها في معان واختلافها او تناقضها في مسمان اخرى .

والكتب الثلاثة من المصادر اللغوية التي تبرز

وقلنا الميزان الصرفي وليس المبني ، لان بعضها يبدو متجانسا في مبناءه ، ولكن الحقيقة أنه ليس كذلك ، ومما يوضح هذه الحقيقة أنه كان يورد ما يوهم بذلك مثل ايراده كلمة (مُكْتَان) مع كلمات على وزن فُعْلان والنون فيها زائدة كالحمران أو أصلية كالهَرْمَان بمعنى العقل ، أما المِكتَان فهي في وزن مُفْتَعِل من كان يَكِين بمعنى يَكُنُّ ، وهو الكنيل . ويلاحظ ، بسهولة ويسر ، ان المفردات تختلف مبانيها ما بين المقرد والجمع ، وقد يورد كلمات مثناة ، كما تختلف من حيث أصالة الحروف وزيادتها .

ويتألف هذا الكتاب من ستين عشرة زواها أبو عمر الزاهد عن شيوخه ، وفي ظليغتهم ثعلب ، أحمد ابن يحيى ، الذي اشتهر أبو عمر بكونه غلاما له ، فلقب بـغلام ثعلب ، وذلك لكثرة ملازمته له ، وقد روى ثعلب بدوره عن شيوخه على النحو التالي :

- 1 - عن الاصمعي عبد الملك بن قريب بواسطة نصر .
- 2 - عن أبي عمرو الشيباني بواسطة عمرو ابنه .
- 3 - عن الفراء بواسطة سلمة .
- 4 - عن أبي زيد الانصاري بواسطة ابن نجده .
- 5 - وعن ابن الاعرابي مباشرة دون واسطة ، وجل الروايات عنه وعن أبي عمرو الشيباني .

وقد توفر للمحقق مخطوطتان للكتاب احدهما نسخة برلين ، والثانية نسخة مكتبة حسين جلبي بتركية غير أن بين المخطوطتين تباينا كبيرا يتمثل في كون مخطوطة برلين تزيد عن نسخة تركية بقدر كبير يمثل ثلاثة أضعافها أو أكثر .

ويشير المحقق الى أن هناك نسخة أخرى على الأقل لم تصل اليها وتعليل ذلك ما يكشفه الكتابان الآخرا مما نقله أبو عبد الله التميمي من عشرات الزاهد ، حيث بنى كتابه على عشرة لابي عمر الزاهد لم انجدهما لا في مخطوطة مكتبة برلين ولا في مخطوطة مكتبة حسين جلبي .

ثانيا : عشرات التميمي

اعتمد المحقق في اخراج هذا الكتاب على مخطوطة مكتبة سليم أغا بتركية وهذا الكتاب يكبر الكتاب السابق بما يعادل ضعف مادته . وهو قائم كما اشرنا قبل قليل ، على عشرة من كتاب أبي عمر الزاهد ، زعم التميمي أنه أراد به أن يعارض كتاب الزاهد ، بل لقد تناول عليه في مقدمته واستعرض عضلاته حيث قال انه سيأتي بالمئات مما جاء به أبو عمر من العشرات .

وفعلا ، فقد أخذ عشرته التي تبدأ بـ « المتع » ، التي كل مفرداتها من هذا القبيل ، أي على وزن فَعْل بسكون العين ، وتنتهي بحرف العين ومن مفرداتها عند أبي عمر المتع ، وهي المشية القبيحة ، وتخص بالنساء ، والمنع بمعنى السرطان . الخ . وزاد التميمي عليها نحو من مائة وستين كلمة من وزنها وعلى شرطها غير أن هناك ما تجدر ملاحظته ، وهو أن التميمي كان كحاطب ليل يجمع من الكلام ما وافق اللفظ ، ولم ينتبه للمعنى أغريب هو أم مألوف .

أما أبو عمر الزاهد فكان لا يأتي بالالفاظ الا للغريب من المعاني . فقد جاء بالمنع بمعنى السرطان . ولكنه لم يأت به لمعنى الحوول ، ومعنى ضد الاخذ وضد العطاء .

بل ذهب التميمي ، لابتعد من ذلك حيث كان يأتي

من الألفاظ ما هو لغة في غيره ، كالصبح لغة في الضبح ،
وكالصبح لغة في الصبح من الحيوانات .

ويصرف التميمي عقب ذلك الى ضرب من التأليف
مختلف ، ذلك انه أسمى كتابه العشرات ، وذكر في
خطبته انه سيذكر مئات مما جاء به أبو عمر الزاهد
عشرات ، ولكنه عدل عن ذلك الى ما يسمى بالمشترك
اللفظي ، فراح يأتي بمفردات مرتبة على حروف المعجم ،
مع اختلاف يسير عن ترتيب المشاركة ، حيث بدأ بالأل
وثنى بالتامور دون التعرض لاية كلمة تبدأ بحرف
الباء وهكذا ، وراح يقلب الألفاظ لمعانيها المختلفة ،
ويستشهد لها بالآي الحكيمة أو الحديث الشريف أو
الإشعار المعتمدة عند اللغويين ، ولعل هذه خصلة
حميدة امتاز بها كتابه عن كتاب الزاهد ، الذي تقل
فيه الشواهد الى درجة ملحوظة .

ومن الملامح المميزة لكتاب التميمي انه لم يثبت
ولو سندا واحدا مما انتقلت اليه مادته عن رجاله ، على
المكس من صنيع الزاهد ، نعم لقد أورد سندا عن محمد
بن أبي العرب للكاتب في معرض رده على أبي عمر ،
ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك في سواء كتابه .

ومن ذلك أنه لم يتبن المنهج المعجمي الدقيق الذي
كان قد عرف قبل زمانه بحين ، فافرد الألفاظ ، أخلف
خلف ، خالف ، خالفة ، كلا في باب مستقل ، مع العلم
انها جميعا مما تبحث فيه المعاجم تحت مادة (خ ل ف)
وكذلك فعل في كلمتي القرن ، القرن ، والحمار والحمار .

ويعد هذا الكتاب حلقة وصل بين عشرات الزاهد ،
وكتاب اتفاق المباني وافتراق المعاني الذي سنتحدث
عنه فيما يلي ، ذلك ان ابن بنين نقل عنه قدرا كبيرا .
وقد سبق ان طبع هذا الكتاب - عشرات التميمي

القيرواني - وذلك سنة 1925 بصيدا ، غير أن نسخته
نعدت منذ حين ، ولم يكن محققا ، وانما طبع على طريقة
الرغيل الاول ممن اشتغلوا باحياء التراث . وقد صنف
الاستاذ المنجي الكندي - من تونس - كتابا اسماه
« القزاز القيرواني حياته وآثاره » عرض فيه لجوانب
مختلفة من حياة المؤلف ، كما حقق الدكتور زغلول سلام
كتاباه في ضرائر الشعر .

ثالثا - اتفاق المباني وافتراق المعاني

يعود تاريخ تصنيف هذا الكتاب الى نهاية القرن
السادس أو أوائل السابع ، وقد ألفه ابن بنين وجعله
يرسم خزانة ابن القاضي الفاضل . وقد اعتمد المحقق
في اخراجه نسخة دار الكتب المصرية ، وأخرى منقولة
عنها حديثا تحفظ في الخزنة التيمورية ولكن المحقق
غض النظر عن النسخة الاخيرة ، لنقصها من اخرها ،
ولان ناسخها وقع في أخطاء كثيرة .

ويقع هذا الكتاب في نحو من ثلاثمائة صفحة
تتضمن دراسة تقع في نحو تسعين صفحة ، ثم الكتاب
محققا في ما تبقى .

ويعد المؤلف سليمان بن بنين من اللغويين
والنحويين ورجال الحديث ، وكان قد أجاز ياقوتا
الحموي بروايته كتبه عنه ، ومن ضمنها كتاب الاتفاق
الذي نحن بصده ، حيث كان قد التقى به في حضرة
القاضي الاكرم ، قاضي دمشق .

ويصور كتاب الاتفاق هذا ما آلت اليه المصنفات
اللغوية في ذلك العصر ، حيث لم تعد تتجاوز النقل
والاقتباس والشرح والتهميش والتتمتين ، متكئة في ذلك
كله على مؤلفات المتقدمين . وهذه الامور واضحة بجلاء ،
شديد في هذا الكتاب حيث يمكن رد مادته الى ما يلي :

نحو ما بينه المحقق في الباب الثالث ، باب ما
اختلف لفظه واتفق معناه .

ويمتاز ابن بنين في هذا الكتاب ، وهو أول كتاب
ينشر له ، بتحصلة حميدة تدنو به من درجة أبي عمر
الزاهد ، وهي أن الرجل كان يرد معظم ما نقل الي
أصحابه عبر سلسلة من رجال السند ، مع توثيق ذلك
بما يشبه أساليب رجال الحديث ، وتدعيمه بذكر الزمان
والمكان يوما وشهرا وعاما ، ولكن الرجل لم يجر على
هذا المنوال في طول كتابه ، فلعله كان يسهر أحيانا ،
ولا نظن انه كان يعتمد ، فالرجل ، كما قلنا . يعد في
رجال الحديث ، ولقد صنف في ذلك ، وابنه عبد الغني ،
الذي يكنى به وبالربيع ، يعد أيضا في رجال الحديث
في القرن الهجري السابع .

وبعد ، فقد بذل المحقق جهدا واضحا في توثيق
مواد الكتب الثلاثة ، وتخريج شواهدا المختلفة ، الي
جانب ما زودها به من نهارس وكشافات تيسر عملية
الاستفادة منها وهذه السلسلة جديرة بالقراءة
والاهتمام يكفي أنها تظهر لأول مرة ، لتملا حيزا
كان من قبل خاليا في المكتبة العربية .

1 - كتاب الكامل للمبرد ، حيث نقل منه فصلا في تقسيم
الكلام من حيث المعاني .

2 - عشرات أبي عبد الله التميمي حيث نقل عنه ما يربو
عن عشرين فصلا ، بما في ذلك معارضته لابي
عمر الزاهد .

3 - كتاب شجر الدر لابي الطيب ، علي بن عبد الواحد
اللغوي . حيث نقل عنه أربع شجرات تشكل أكثر
من نصفه .

4 - كتب خلق الانسان للاصمعي ، وأبي ثابت محمد
بن ثابت ، وكتاب نظام الغريب للربيعي . حيث
نقل منها نحو من أربع صفحات .

5 - كتب الاضداد المختلفة حيث نقل منها ما يربو على
ثلاثة فصول .

6 - كتاب الدارات للاصمعي ، حيث نقل منه دارات
العرب كلها ، ولعل ما نقله هو الكتاب كله .

7 - كتب المقامات ، وقد نقل منها بعض النصوص على